

جامعة الدول العربية

معهد المخطوطات العربية



مجلة

معهد المخطوطات العربية

ثمن النسخة :

\* داخل مصر : عشرة جنيهاً .

\* خارج مصر : خمسة دولارات أمريكية .

شاملة نفقات البريد .

حَقُوقُ الطَّبْعِ لاَ مَحْفُوظَاتِ

---

الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

---

---

مجلة معهد المخطوطات العربية ( المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ) ،  
ط ٢ ، مج ١٧ ، ج ١ ( ربيع الآخر ١٣٩١ هـ - مايو ١٩٧١ م ) ،  
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

ط ١٩/١٩٩٧/١٠/١ .

---

التعريف بالخطوط

أبو بكر السكوني ورسالة

بقلم : عبد القادر زمام

## مقدمة

طبع المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة رسالة لطيفة في موضوع طريف ، تسمى « الجمانة في إزالة الرطانة » لمؤلف مجهول الترجمة . لا يعرف عنه إلا اسمه وهو « ابن الإمام » وإلا عصره . . . وهو أواخر القرن التاسع الهجري وربما أوائل العاشر .

وقد حقق هذه الرسالة . وعلق عليها . ومهد لها تمهيداً مفيداً . . الأستاذ البحاث حسن حسني عبد الوهاب الضمادحي التونسي رحمه الله . وكان تاريخ الطبع سنة ١٩٥٣ م . بمطبعة المعهد المذكور بالقاهرة .

وموضوع « الجمانة » هو البحث في تلك الأخطاء التي لحقت بعض الكلمات العربية المستعملة في الأندلس ، وتونس . . في الحركات . . . والحروف . . . والوكالات . . . وسمى المؤلف ذلك كله رطانة .

والظنون أن مؤلف الجمانة أديب لغوي تونسي عرف غرناطة . . ؟ أو أندلسي هاجر إلى تونس . . . وعرف بها في السنة الناس وأقلامهم تلك الأخطاء . وأراد إصلاحها بهذه الرسالة .

ولا يعنيها هنا المتهاج الذي نهجه صاحب الجمانة . . ! وإنما يعنيها أنه جاء

في التهيد الذي مهد به المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب ذكره رسالة أخرى  
مخطوطة قال عنها :

« نحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام » تصنيف أبي على عمر بن محمد  
ابن خليل السكونى الإشبيلي . المهاجر إلى تونس والمتوفى بها سنة ٧١٧ هـ  
١٣١٧ م تناول فيه أغلاط العامة في أيمانهم وبدعهم وعوائدهم .. وهو موجود  
بالمكتبة العبدلية الزيتونية بتونس رقم ٢٢٢٩ ويخرج في خمسين صفحة<sup>(١)</sup> .

وكان هذا التعريف الموجز بالسكونى . ورسالته . مغنياً مشوقاً بالنسبة  
إلى .. لأقوم ببحث عن الرسالة وصاحبها في المخطوطات والمطبوعات . وكنت  
أعلم مسبقاً أن هناك في الأندلس أسرة علمية تسلسل العلم في أبنائها مدة طويلة ،  
وسجلت المعاجم التاريخية ، والفهارس الخطية . كثيراً من أعلامها يوم كانوا  
في الأندلس .. في يابرة .. وكبلّة .. وإشبيلية .. وقرطبة .. ويوم هاجر  
بعضهم إلى المغرب الأقصى .. وتونس .. والمشرق .

كما سجلت أيضاً لأعلام هذه الأسرة تضلعاً في العلم .. واستقامة في  
الخلق .. وزهداً في أعراض الدنيا ، واتساعاً في علم العقائد ، على الطريقة  
الأشعرية .. وتفتناً في علوم القرآن .

ولهم في ذلك آثارهم احتفظت المعاجم ببعض أسمائها ، وأبقى الدهر على  
بعض مخطوطاتها في الخزائن العامة والخاصة ، ومن جملتها هذه الرسالة التي أشار  
إليها محقق ( الجمانة ) .

لهذا ارتأيت قبل الحديث عن أبي على السكونى ورسالته أن أقف قليلاً  
عند الأسرة التي ينتمى إليها .

---

( ١ ) الجمانة . انظر التوطئة . ص ٥ .

فالإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ يتحدثنا في كتابه (الجمهرة) عن أسرة السكونيين في الأندلس ، ويذكر أنها منسوبة إلى السَّكُون بن أشرس بن كندة ، فهي إذن عربية يمانية . قد هاجرت إلى الأندلس منذ أيام الفتوح الأولى .. ويختم ابن حزم حديثه عن السكونيين قائلا : « وكانوا ينتمون نُجَيْدِينَ ، وإنما كانوا سكونيين فقط ، وإنما تجيب بنو عمهم »<sup>(١)</sup> . والإمام أبو بكر الحازمي الهمداني يذكر في كتابه : « عجالة المبتدئ » هذه النسبة إلى السَّكُون بن أشرس بن كندة . ويختم كلامه قائلا : « ويقال فيه السَّكْنَى »<sup>(٢)</sup> .

والسلطان الأشرف عمر بن يوسف بن رسول ملك اليمن المتوفى سنة ٦٩٦ هـ يذكر في كتابه « طرف الأصحاب في معرفة الأنساب » السكون ، في بطون كندة .. مرتين . ينص في المرة الأولى على فتح السين ، وضمها ، وفي المرة الثانية ينص على فتح السين<sup>(٣)</sup> .

وأخيراً الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ يذكر هذه النسبة : السكوني في كتابه « لبّ اللباب في تحرير الأنساب » وينص على فتح السين وضمها<sup>(٤)</sup> .

ومن أجل ذلك نجد كلمة ( السكوني ) مضبوطة في النصوص الخطية التي بين أيدينا تارةً بفتحة مشددة على السين ، وأخرى بضمة مشددة عليها أيضاً .

---

( ١ ) الجمهرة . دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م ص ٤٢٩ - ٤٣٠ . تحقيق عبد السلام هرون .

( ٢ ) عجالة المبتدئ . القاهرة ١٩٦٥ م ص ٧٣ تحقيق عبد الله كنون .

( ٣ ) طرف الأحباب مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٩ م انظر ص ١١ ، ص ٣٤ .

( ٤ ) لبّ اللباب للسيوطي ص ١٣٨ .

وهذا بخلاف ما شاهدناه في بعض النصوص المطبوعة المحققة من الاختصار على فتح السين من كلمة السكونى .

وبالتبعية والاستقراء نجد أن بعض المعاجم والنهارس كما نرى ذلك بعد . تزيد في ترجمة بعض أفراد هذه الأسرة . . إضافة خاصة هكذا . فلان ابن خليل السكونى .

وخليل المذكور يعتبر بالنسبة لأعلام هذه الأسرة قُعدُداً علمياً ، له أبناء وأحفاد حافظوا على ذكراه في أنسابهم وتراجمهم وإمضاءاتهم أيضاً ، وهو خليل بن إسماعيل بن خلف بن عبد الله السكونى اللبلى ، حدث عنه ابن خير وأجاز له سنة ٥٥٧ هـ (١) .

وحيث إننا قد عرفنا القعدد العلمى لأسرة أبي على السكونى فإننا نستطيع أن نضم حلقات السلسلة بعضها إلى بعض ، لتزداد معرفة بالأسرة وأعلامها :

فخليل بن إسماعيل له أخ يسمى عبد الغفور بن إسماعيل السكونى ترجمه ابن الزبير ترجمة مشرقة وسجل فضله وعلمه وكان من الآخذين عن الشيخين أبي الحكم بن برجان ، وأبي العباس بن العريف ، ورحل إلى المشرق وبه توفى سنة ٥٥٤ هـ ، وأخذ عنه في الأندلس أبناء أخيه خليل ، الآتى ذكرهم (٢) .

ونخليل أربعة أبناء :

١ - أبو العباس أحمد بن خليل المتوفى سنة ٥٨١ هـ (٣) .

---

( ١ ) النسكة لابن الأبار . القاهرة ١٩٥٥ م ج ١ ص ٣٧ .

( ٢ ) صلة الصلة . الرباط ١٩٣٧ م ص ٣٧ .

( ٣ ) ابن عبد الملك . بيروت . القسم الأول من السفر الأول ص ١١١

تحقيق الدكتور محمد بن ترفيفة والنسكة ، القاهرة ١٩٥٥ م ج ١ ص ٨٣ .

٢ — أبو محمد عبد الحق بن خليل الذي أخذ عن ابن العربي وعياض ورحل إلى<sup>(١)</sup> مدينة فاس وأخذ علم الكلام عن إمام أهل المغرب في العقائد أبي عمرو عثمان السلاجلي مؤلف (البرهانية) ، وتوفى في حدود ٥٨٠ هـ .

٣ — أبو محمد عبد الله بن خليل المتوفى أوائل عام ٥٨٠ هـ<sup>(٢)</sup> .

٤ — أبو زيد عبد الرحمن بن خليل<sup>(٣)</sup> .

ونجد لأحمد بن خليل السكوني المكنى بأبي العباس خمسة أبناء ، كلهم من الأعلام الأفاضل الذين لم ذكر في المصادر المطبوعة والمخطوطة وهم :

١ — أبو الحكم محمد بن<sup>(٤)</sup> أحمد بن خليل .

٢ — أبو الخطاب عمر بن أحمد بن خليل صاحب الفهرسة التي ينقل عنها أبو العباس المغربي في نفح الطيب<sup>(٥)</sup> وغيره .

٣ — أبو الفضل محمد بن أحمد بن خليل<sup>(٦)</sup> .

٤ — أبو عمر محمد الذي رحل إلى مراکش وبها رآه المؤرخ ابن عبد الملك ومات مفقوداً في الأندلس<sup>(٧)</sup> .

---

( ١ ) صلة الصلة ص ٤ .

( ٢ ) ابن عبد الملك بقية السفر الرابع ص ٢٢٤ بيروت .

( ٣ ) أشار إليه في صلة الصلة ص ١٩٤ .

( ٤ ) ابن عبد الملك القسم الثاني من السفر الخامس ص ٦٣٠ .

( ٥ ) عن أبي الخطاب انظر ابن عبد الملك المصدر السابق . وعن فهرسته

انظر نفح الطيب بيروت ١٩٦٨ م ج ٤ ص ٣٠٤ .

( ٦ ) ابن عبد الملك القسم الثاني من السفر الخامس ص ٦٣٦ .

( ٧ ) المصدر السابق ص ٦٣٥ .

٥ - أبو بكر يحيى بن أحمد بن خليل وكان أكبر بنى أبيه وأعلمهم كما يقول ابن الزبير<sup>(١)</sup> ، ولأبي بكر هذا موقف متصلب مع الصوفى الإشبيلي عبد الحق بن سبعين وبسببه قامت الضجة فى الأندلس أولا ، وتونس ثانياً ، على ابن سبعين ، الأمر الذى دعاه إلى الهجرة ، والإقامة بالحجاز كما يقول ابن خلدون<sup>(٢)</sup> .

وهناك إلى جانب هذه الشخصيات التى تكون حلقاتٍ معروفةً فى سلسلة هذه الأسرة العلمية المجيدة ، نجد شخصيات أخرى فى عدة مصادر مخطوطة ومطبوعة لا نستطيع ربطها بهذه السلسلة ولا بغيرها مما يدل على تعدد الأصول والفروع من السكونيين .

فأبو زكريا السراج فى فهرسته الحافلة يذكر أثناء تراجم شيوخه عدداً من السكونيين ، وكذلك ابن سعيّد فى المغرب ، واختصار القدر المعلى ، ورايات المبرزين ، والرعيّنى فى البرنامج المطبوع بدمشق ، وابن الخطيب فى الكتّبة الكامنة ، والمقرئ فى نفح الطيب ، وابن الأبار ، وابن الزبير ، وابن العماد فى شذرات الذهب يذكر فى وفيات ٥٧٩٥ و ٥٨٠١ بعض السكونيين الذين هاجروا إلى المشرق ، وكان لهم به ذكر ومكانة .

بعد هذه الوقفة مع السكونيين نرجع إلى أبى على السكونى ورسالته ، لنجد مترجيه يقولون عنه أنه : عمر بن محمد بن أحمد بن خليل السكونى أبو على نزيل تونس ، الفقيه العالم العلامة السنى له تأليف منها : التميز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال فى الكتاب العزيز فى سفرين وقفت عليه ،

---

(١) صلة الصلة ص ١٩٣ .

(٢) ابن خلدون يروت ١٩٥٤ م ج ٦ ص ٦٣٥ .



وجزه لطيف في البدع (١) .

وترجم له الأستاذ الزركلي في ( الأعلام ) وذكر له وفاته سنة ٧١٢ هـ (٢) .  
وجاءت ترجمته في برنامج المكتبة الصادقية ج ١ ص ٥٤ هكذا : « عمر  
ابن خليل السكوني ذكر صاحب الكشف أنه توفي سنة ٧١٧ هـ . ويقول  
السوداني في ذيل الديباج أنه توفي سنة ٧١٦ هـ ، وهو الصحيح ، لأن ابن الخطيب  
ذكره في نفاضة الجراب ، وذكر أنه حضر مذاكراته ، ثم ذكر البرنامج ،  
أنه هو مؤلف التمييز ، وذكر له بعد هذا ج ١ ص ١٢٥ مقتضب التمييز .  
والنص كما نرى بعيد عن التحقيق والتدقيق .

أولاً : لأن ما نقله عن السوداني غير موجود لا في نيل الابتهاج ولا في  
كفاية المحتاج ، وهما المعروفان بذييل الديباج .

ثانياً : لأن ما نقله عن النفاضة لا يوجد لا في السفر الثاني المطبوع ولا في  
السفر الثالث المخطوط بكل من المكتبة العامة بالرباط ، والمكتبة الملكية ،  
فهل نقله من السفر الأول ، الذي لا نعلم عنه شيئاً .

وكل المعلومات التي بقيت لنا عن أبي علي السكوني لا تفيدنا عن ميلاده  
متى وأين كان بالضبط ، فهو إشبيلي ما في ذلك من شك ، وهو نزيل تونس  
ما في ذلك من شك ، ولكن هل ولد في إشبيلية قبل سقوطها في يد الإسبان  
سنة ٦٤٦ هـ (٣) . وحمل منها صغيراً إلى تونس ، أم ولد في مدينة أخرى من  
الأندلس ، أو من المغرب ؟ لا نستطيع أن نجيب جواباً دقيقاً في الموضوع .

---

( ١ ) نيل الابتهاج للسوداني على هامش الديباج ص ١٩٥ .

( ٢ ) ج ٥ ص ٢٢٤ .

( ٣ ) ابن الأبار في التكملة ج ٢ ص ٩٠٣ .

أما عن دراسته وشيوخه في هذه الدراسة فإننا أيضاً لا نكاد نعرف شيئاً مدقّقاً في هذه السبيل ، باستثناء ما يذكره في رسالته من أخذه عن والده .  
وهنا جاء السؤال عن والده .. من هو .. ؟ وهل هو أحد الذين أشرنا إليهم أثناء وقوفنا حول أعلام أسرته في تلك السلسلة التي يقع جده خليل في قمتها .. ؟

الواقع أيضاً أننا في حيرة من هذا الأمر .. !

فهو أبو علي عمر بن محمد بن أحمد بن خليل .

وقد رأينا أن جده أحمد له خمسة أبناء .. ! أربعة منهم من المحمدين .. !

لا يميز بعضهم عن بعض إلا الكنية .. !

أبو الحكم محمد بن أحمد بن خليل .. !

أبو الخطاب محمد بن أحمد بن خليل .. !

أبو الفضل محمد بن أحمد بن خليل .. !

أبو عمر محمد بن أحمد بن خليل .. !

فن هو والد أبي علي السكوني من هؤلاء الإخوة الأربعة .. ؟

وحرصنا على معرفة والد أبي علي لا من أجل الولد فقط ، بل من أجل

الوالد .. والولد .. ! وذلك يرجع إلى أننا عثرنا أثناء البحث عن أبي علي

الولد .. على رسالة لطيفة جيدة السبك .. تحتوي على أربعين مسألة من

أصول الدين .. ! مبدوءة بهذه العبارات :

» .. قال العبدُ الفقيرُ إلى رحمة مولاه : محمد بن خليل شاكرًا لله

سبحانه على ما من به من علم التوحيد وأولاده . وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا

الله .. سألني بعض الصالحين نفع الله بمقصدهم أن أذكر لهم أربعين مسألة من أكد ما تدور عليه أصول الدين وتدعو الضرورة لأن يعلمها جميع المؤمنين .. » .

والدليل المادى على أن هذه الرسالة هي من تصنيف والد أبى على السكونى يرجع إلى دراسة رسالة الوالد .. ١ ورسالة الولد .. ١ ومشاهدة النقل الصريح الذى يستعمله أبو على فى رسالته .. ١ ويذكر الشيء المنقول .. الموجود بعينه فى رسالة والده هكذا .

يقول محمد بن خليل فى رسالته التى تحتوى على أربعين مسألة من أصول الدين فى المسألة العاشرة :

« قال شيخه رحمه الله : حضرت جنازة حفيظة نقام المنذر على القبر بخطب فقال فى جملة كلامه .. سبحان من لم يزل موجوداً .. ١ وسبحان من لم يزل معبوداً .. ١ قال فسمعت شيخى يقول سرّاً .. آمنت بالأولى وكفرت بالثانية .. ١ فلما افترق الجمع سألته عن ذلك فقال لى : أما لم يزل موجوداً فتعم .. ١ وأما لم يزل معبوداً .. فقدّم العالم .. ١ وذلك كفر .. ١ » .

ويقول ولده أبو على فى رسالته :

« .. ومنه قول بعض الخطباء : سبحان من لم يزل معبوداً .. ١ إذ فيه القول بقدّم العالم .. ١ وفى هذه المسألة ذكر لى والذى رحمه الله تعالى عن شيخه أنه قال : حضرت جنازة مع شيخى رحمه الله تعالى . فقال خطيب القوم عند الانفصال : سبحان من لم يزل موجوداً .. ١ سبحان من لم يزل معبوداً .. ١ قال فسمعت شيخى يقول : آمنت بالأولى وكفرت بالثانية .. ١ الخ .

وشىء آخر وهو أن أبا عليّ يذكّر في رسالته تفسير الكشف للمخشي  
ويحذّر الناس منه ثم يقول :

« وقد صنفنا في الردّ عليه كتاباً سميّناه بكتاب التمييز في الردّ على  
المخشي لما أودعه من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز ١٠٠ وكان  
ابتدأه والدي رحمه الله ثم من الله سبحانه في تكيله ١٠٠ على يدي وله الحمد  
على ذلك ١٠٠ » .

لهذا كان حرصنا شديداً على معرفة والد أبي عليّ التميمي ١٠٠ لنكون  
بذلك عرفنا مؤلف الرسالة المشتملة على أربعين مسألة من أصول الدين ١٠٠  
وفي الوقت نفسه عرفنا شريك أبي عليّ في تصنيف كتاب التمييز الشهير ١٠٠

ولعل والد أبي عليّ هو أبو عمر محمد بن أحمد بن خليل وهو رابع  
المحمدين من أبناء أحمد بن خليل ١٠٠ ففي تكنيته بأبي عمر ما يُستأنس به  
في ذلك ١٠٠ ! غير أن الوفاة التي ذكرها ابن عبد الملك لأبي عمر سنة ٥٦٤٦هـ<sup>(١)</sup>  
بينها وبين الوفاة المعروفة لابنه عمر ٥٧١٧هـ ما يساوي إحدى وسبعين سنة ١٠٠  
فإذا كان عمر قد أخذ العلم عن أبيه ١٠٠ وعاش بعده ٤١ سنة ١٠٠ كان إذن  
من الممّرين ١٠٠ ! ! وهذا وإن لم يكن مستحيلاً ١٠٠ فإنه غير مألوف ١٠٠  
وعلى كل فإننا إنما نفرض فرضاً ١٠٠ ولا نجزم جزماً ١٠٠

بعد هذا تنتقل إلى الكلام على رسالة أبي عليّ السكوني التي ذكرها  
المرحوم حسن حسني عبد الوهاب في مقدمة تحقيق كتاب الجفانة ١٠٠ والتي  
تحمل عنوان : ( لحن العوام فيها يتعلق بعلم الكلام ) .

---

( ١ ) ابن عبد الملك القسم الثاني من السفر الخامس ص ٦٣٦ .

وهذه الرسالة معروفة عند الاستشراق حيث نعرف منها نسخة برلين رقم  
٢٠٨١ ٠٠ ١ كما نعرف منها نسخة المكتبة العبدلية بتونس رقم ٢٢٢٩ ٠٠ ١  
ورأيتُ هنا في المغرب نسختين ٠٠ وأخبرت أن هناك نسخاً أخرى في ملك  
بعض الباحثين ٠٠ من مقارنة ومستشرقين ١١ ٠٠

والرسالة ذكرها الدكتور رمضان عبد التواب في دراسته القيمة عن :  
( اللحن والتطور اللغوي )<sup>(١)</sup> وبين محتوياتها منتقداً عدّها في كتب لحن  
العوا ٠٠ لأن موضوعها في الأخطاء التي انتشرت في التعبيرات المتداولة ٠٠  
عند الخطباء والشعراء والوعاظ والمؤلفين وأهل التصوف ٠٠ وكلها أخطاء  
ترجع إلى عدم مراعاة أصول العقائد ٠٠ والغفلة عن أسس التوحيد ٠٠ ١  
مما يؤدي بحسب ظاهره إلى الكفر ١١ ٠٠

ويظهر أن منشأ الخطأ في عدّها في الكتب المؤلفة في لحن العوام هو  
عنوانها الذي تحمله بعض نسخها وهو :

( لحنُ العوام فيما يتعلق بعلم الكلام ) .

وكذلك هو في إحدى النسختين اللتين قرأتها منها ٠٠ ١

أما النسخة الثانية فإنها تحمل عنواناً آخر وهو :

( لحن العامة والخاصة في المعتقدات ) .

فأبو على السكوني يريد باللحن ، الخطأ الناتج عن جهل ، أو غفلة ، أو عن  
مقصد مذهبي لبعض الفرق كالمعتزلة والفلاسفة والصوفية ٠٠ ١

وحيث إنه مالكي في الفروع ٠٠ أشعري في الأصول ٠٠ فإن منطقته

---

( ١ ) لحن العامة والتطور اللغوي دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٧ م ص

٢٦٢ — ٢٦٦ .

كان تابعاً لذلك حينما انتقد ما انتقد .. وصحح ما صحح من الكلمات والتعبيرات التي اشتهرت في عصره .. !

وكان أبو علي السكوني جريئاً في النقد والتمحيص .. مخلصاً لمذهبيته كل الإخلاص .. ! ومن أجل ذلك لم يكتف بما سجله من انتقادات وتصحيحات .. بل إنه حذر قراء رسالته من كتب شخصيات معينة .. ! وآراء فرق معينة تصريحاً لا تلويحاً .. !

ومن أجل ذلك كان التلخيص أو الاختصار في حق هذه الرسالة يفوت قيمتها وهدفها وممتها أيضاً .. ! فهي جديرة بالنشر والتحقيق ..  
ويذكر أبو علي السكوني في رسالته مؤلفاته وهي :

١ - قواعد العقائد .

٢ - عيُون المناظرة .

٣ - المعتمد في المعتقد .

٤ - أصول الدين .

٥ - التمييز .

هذه التفاتة إلى أبي علي السكوني .. وإلى رسالته .. !  
التي ننشر فيها يلي نصها وبالله التوفيق .

## نسخ رسالة السكوني

منذ سنوات كان قد وقع في يدي مجموع خطيّ به عدة رسائل من جملتها هذه الرسالة التي كنت أجهل إذ ذاك اسمها، واسم مؤلفها، فهي غُفِلَ في بدايتها ونهايتها من أي معلّم من المعالم التي ترشد الباحث أو على الأقل تنير أمامه السبيل .. ولكن موضوعها كان شيقاً مغرياً .. فقرأتها وتبينت أهميتها من أول لحظة .. ولم أقدم على نشرها .. ولا على التعريف بها .. لأنني لا أملك من مادة التعريف بها وبمؤلفها شيئاً ..

ثم وقع في يدي مجموع آخر عثرت عليه في خزانة أخينا الأستاذ الباحث سيدي إدريس الإدريسي « شفاه الله » يحمل رقم (ج ٤٧) على نفس الرسالة بخط جيّد كتبت بعناية واهتمام ، مع عدم ذكر تاريخ كتابتها .. واسم كاتبها .. ! ويظهر من نوع الورق المكتوبة فيه أنها كتبت في القرن الثاني عشر أو أوائل القرن الثالث عشر الهجري .. !

وهذه النسخة مثل النسخة الأولى في عدد الأوراق والترتيب إلا أنها أقدم منها وأجل خطأً .. وأقل خطأً مع العلم أن أصلهما واحد .. ومن أجل ذلك اعتبرتهما نسخة واحدة ..

وقد كتبت في أول النسخة التي بمجموع أخينا سيدي إدريس الإدريسي هذه العبارات :

قال الشيخ الإمام المحقق محمد خليل التونسي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن جميع المسلمين .. !

وهذه العبارات كانت معلماً من معالم البحث أرشدتني إلى البحث عن المؤلف ١٠٠ رغم ما فيها من غموض وقصور ١٠٠ ثم كانت العبارة التي استعملها المرحوم حسن حسني عبد الوهاب في مقدمة «الجمانة» معلماً واضحاً مفيداً أزال كل التباس وبذلك علمت أن مؤلف هذه الرسالة هو أبو علي عمر ابن محمد السكوني الإشبيلي نيجاراً التونسي داراً المتوفى سنة ٧١٧ هـ ، وأسرته تعرف بأسرة بني خليل السكونيين كما في المقال الذي قدمناه بين يدي هذه الرسالة .

ومن حسن الحظ أنني عثرتُ في خزانة أختينا الإدريسي على مجموع آخر يحمل رقم (ج ٢١) على رسالة أخرى صغيرة لوالد أبي علي السكوني جمع فيها أربعين مسألة من أصول الدين ١٠٠ مبدوء بقوله : «قال العبد الفقير إلى رحمة مولاه محمد بن خليل ١٠٠» .

وقد نقل أبو علي السكوني في رسالته هذه قصة عن والده موجودة بنصّها في رسالة الوالد ١٠٠ ( انظر رقم ٧ من التعميمات على هذه الرسالة ١٠٠ ) مما يبيّن أن رسالة (الأربعين مسألة في أصول الدين) من تأليف والد أبي علي السكوني ١٠٠ لا من تأليفه هو ١٠٠ وما وقع في أعلام الزركلي ج ٥ ص ٢٢٤ سبق قلم ١٠٠

وفي سنة ١٩٦٧ ظهرت دراسة الدكتور رمضان عبد التواب عن (لحن العامة والتطور اللغوي) وفي تلك الدراسة القيمة ذكر في ص ٢٦٢ رسالة (لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام) ونسختها في برلين ، وتونس ١٠٠ وناقش موضوع الرسالة ١٠٠ ونقل فقرات منها ١٠٠ قائلا :

« ليس هذا الكتاب في اللحن اللغوي ، وإنما هدفه الأخطاء التي تفسد



العقيدة وتوحيد الله تعالى في كلام الناس فالتراكيب صحيحة غير أنها تؤهم  
عدم تنزيه الله تعالى عما لا يليق بعظمته جلّ وعلا .. » .

كل هذا أغرائي بإعداد الرسالة للذشر كما هي من غير تضخيم حجمها  
بالتعليقات على المعلومات المعروفة في أصولها عند قراء هذه المجلة ..  
إلا ما كان ضرورياً ..

وعند المذاكرة مع أخيना الأستاذ سيدى إبراهيم السكتانى رئيس قسم  
المخطوطات بالخرانة العامة بالرباط أفادنى أنه انتسخ بقله رسالة السكونى من  
كناشة وجدها عند الأستاذ سيدى محمد بن أبى بكر التطوانى بمدينة سلا .. ١  
منذ سنوات .. ١

وتفضل مشكوراً فأعزنى الدفتر الذى انتسخ فيه الرسالة بقله  
حفظه الله .. ١

وتمتاز هذه النسخة بفائدة جلييلة هي عنوانها الذى كتب هكذا :  
« كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات » .

ولا شك أن هذا العنوان مطابق لحقيقة ما في الرسالة .. ١ فليس  
موضوعها لحن العوام كما هو الشأن في كتب الزبيديّ .. وابن هانيء ..  
وابن خاتمة .. وإنما موضوعها الأخطاء التي هي — في نظر المؤلف — تفيد  
أشياء تأبأها أحكام الشريعة وأصول العقيدة .. سواء كانت هذه الأخطاء  
مستعملة عند خواص الناس أو عند عوامهم .. ١ وعلى ذلك فإن العنوان  
الذى يذكر لهذه الرسالة في المصادر وهو :

( كتاب لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام ) ليس حقيقياً ..  
ولا دقيقاً .. ١ بل إنه كان سبباً في أخطاء وتصحيحات وانتقادات .. ١

لا تخفى على الباحث المتتبع لهذا الموضوع .. وهو موضوع لحن العوام  
والمؤلفات فيه .. !

كما تمتاز هذه النسخة أيضاً بترتيب أوراقها ترتيباً غير الترتيب الذى فى  
النسختين اللتين ذكرتهما سابقاً .. واعتبرتهما لتشابههما نسخة واحدة ،  
فالمسائل هى .. ! والموضوعات هى .. إلا أن هناك اختلافاً فى ترتيب  
الأوراق ظهر به هنا تقديم ما آخر هناك .. والعكس .. !

فالنسخة المستخرجة قوبلت وصححت حسب الإمكان على النسختين  
معاً .. ! مع الإشارة إلى النسخة الأولى بحرف (أ) وإلى الثانية بحرف (ب) .  
وأجدد فى الأخير شكرى للأخوين الأستاذين الفاضلين على أريحيتهما  
لتسكينى من الاطلاع والاستفادة من نسختيهما الخطيَّتين .. من كتاب أبى على  
السكونى رحمه الله .

عبد القادر زمام

فاس

## كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات

تأليف

أبي علي عمر بن محمد بن خليل السكوني

(المتوفى ٥٧١٧ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله  
الطيبين الطاهرين ، وصحابه الأكرمين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .  
أما بعد : فإنه لما وجب نصيح الإسلام والمسلمين . قلت : قال الله سبحانه :  
« والله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون  
ما كانوا يعملون » ، ومما علم بالدلائل أن الحسن ما حسنه الشرع ، فالإلحاد في  
أسمائه تعالى هو الخروج فيها عن الشرع ، ولا خلاف بين علماء أهل السنة  
رضي الله عنهم ، في منع كل إطلاق لم يرد به توقيف شرعي ، إذا كان يقتضي  
ما يستحيل في حق الله تعالى ، أو يمتنع في حق أنبيائه ورسله عليهم الصلاة  
والسلام ، وفي حق دينه ، أو يومه ذلك ، ويترتب على هذه المقدمة ، أن كل  
من كان من الناس لا يعرف بين الموهوم وغيره من الإطلاقات فلا يجوز له أن  
يطلق في حق الله سبحانه إلا ما ورد به التوقيف بالإذن الشرعي ، وهذه  
طريقة الأشاعرة وعليها أكثر العلماء ، أعنى أنه لا يطلق إلا ما أذن الشرع  
فيه سواء كان في اللفظ إيهام ، أم لم يكن . . .

ومما يجرى على ألسنة العوام مما لا يجوز إطلاقه ، قولهم : يا ساكن السماء ،  
ويا ساكن الخضراء ، وسبحان من العلّا مكانه ، العظيم سلطانه ، ومن يرى  
ولا يرى .. ! ومن يرى ولا أراه .. ! ألا ترى أن هذا الإطلاق مخالف  
لقوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ولقوله عليه الصلاة  
والسلام ، كما في الصحيح « ترون ربكم عيانا » .

فإن قال صاحبُ هذا الإطلاق الممنوع : أردتُ أن لا أراه في الدنيا .. !  
قليل له : أتيتَ بلفظ مطلق في موضع تقييد .. ! فكان إطلاقك ممتنعاً .. !  
وإنما ذلك للشارع فقط .. ! كقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك  
الأبصار » ، فجعل على الدنيا لما قام من الدلائل بإجماع الأمة ، على أن المؤمنين  
يرون ربهم سبحانه في الجنة .. !

فهما ورد ذلك في الشريعة أطلقناه كما هو وارد ، وتأولناه بتقييد مطلق ،  
وتخصيص ، وحملٍ على المجاز ، وغير ذلك مما تقتضيه الدلائل الموجبة لذلك ..  
لأننا متعبدون بذلك .. ! وهذا حكم جميع التشابهات الواردة في الشريعة .. !  
لأن الله سبحانه أمر عباده بأن يفهموها على خلاف ظواهرها .. ! وله سبحانه  
ذلك بحكم ملكه عليهم .. ! كما قال بعض الأئمة فيها : امتحن الرب عباده  
بها للخير والشر كما أَراده .. ! بأن يخص بعضهم بعلمها ، وأن يضلّ بعضهم  
في فهمها لا يسأل الإله في خلقه عما ينعل فهو الملك الأعَدل ، وأما نحن  
فلا سبيل لنا أن نطلق إلا ما ليس بصريح في ممتنع الدين ، ولا يوم ذلك ،  
لأنه ليس لنا أن نمتحن الخلق بنهم الإطلاق على خلاف ظاهره .. ! ولا أن  
نطلبهم بتأويله ، بل نطلب بظواهر إطلاقاتنا وهو مجمع عليه .. ! فتأملوه  
وفقكم الله ترشدوا .. !

ويقولون : يا مَنْ لا تراه العيون .. ! وهو غير جائز كما تقدم بيانه ..

ويقولون يا سيد كل سيد ، ويا سببُ كُنْ لى سبباً .. وكلا اللفظين غير جائز  
 بياؤه كما تقدم ، ويقولون يا عماد من لا عماده ، ويا سند من لا سنده ، ومع  
 أن هذا اللفظ لم يرد به شرع ، ففيه تخصيص من لا عماده ، دون مَنْ له عماد  
 آخر ، ولا خالق إلا الله ، فلا متوكل عليه سواه . ويقولون : يارجاء من  
 لا رجاء له ، ويا ثقة من لا ثقة له . ويقولون : الضامن ثقة .. وفيه إيهام  
 وجوب الأرزاق على الله تعالى .. وهو باطل . ويقولون : يا فرج ، يا أمان .  
 ويقولون : يادليل الحائرين ، وفيه إيهام تخصيص هدايته تعالى بالحائرين ، دون  
 من لم يحر قط من الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين . وإنما يقال : يا هادي ،  
 لأنه تعالى هو الذى هدى كل مَنْ اهتدى . ويقولون : يادليل من ليس له دليل .  
 وهو ممتنع لأنه لا هادى على الحقيقة سواه تعالى ، مع أن ذلك اللفظ لم يرد به  
 توقيف شرعى مع إيهامه مالا يصح فامتنع ، ويطلقون إطلاقاً تُشبه ما تقدم  
 ذكره ، وكل ذلك لم يرد به شرع ، وكل ذلك تقييدات ممتنعة فى حق الله  
 تعالى .. ويقولون : يا من لا يوصف ولا يعرف ، وهو خطأ كله ! ويقولون :  
 يا على فى سماءه ! وظاهره الإشارة إلى المكان وهو محال فى حق الله سبحانه ،  
 فامتنع الإطلاق ، وما ورد فى الشريعة من ذكر السماء والنفوية كقوله تعالى :  
 « أأمنتم من فى السماء » و « يخافون ربهم من فوقهم » فتؤول إلى الجلال  
 والسمو والعظمة كما تقدم ذكره . ويقولون : يا عُدتى ، يا عُمِدتى ، يا غايتى ،  
 يا عظيم الرجاء . وقد قام الدليل على أنه لا مرجو سواه تعالى مع أن الإطلاق  
 لم يرد به شرع .. !

ومن ذلك ما يطلقه كثير من الشعراء وأصحاب الخمریات ، مثل إطلاقهم  
 فى حق الله تعالى ، الخمار .. والساقى .. وصاحب الدَّير .. وراهب  
 الدَّير .. والقس .. ويقول قائلهم :

أيا سمعُ قل للقس في داخل الدَّير      أذاك نبراسُ أم الكأسُ في الخمر  
وكل ذلك وما أشبهه حرام إطلاقه في حق الله تعالى ، ولو قصد به مطلقه  
ما عسى أن يقصد .. !

ويطلق كثير منهم في حق الله تعالى ما لا يجوز من نوع آخر . مثل قولهم :  
ليلى حتى قال قائلهم :

بدت نار ليلي أشرق الكونَ نورُها      وخصص قيس بالهوى فراها  
فناداها يا ليلي أجابت نداءه      ونادته يا قيسُ أجاب نداها  
فهذه إطلاقات محرم استعمالها في حق الله تعالى ، مع أن هذين البيتين  
الإشارة بهما كفر صراح .. ! والعياذ بالله من سخطه .. ! ومما يطلقونه في مثل  
هذا لُبني ، وسُعدى ، وأسماء ، وسعاد ، وهند ، ودعد . ويطلقون في حق الله  
سبحانه الكبريت الأحمر .. ! والاكتى ( كذا ) الأكبر <sup>(١)</sup> .. ! ويقول قائلهم :  
أنا من أهوى ومن أهوى أنا      نحن روحان حللنا بدنا

وهذا كله وما أشبهه حرام إطلاقه ، وحرام اعتقاده ، في حق الله تعالى ،  
لأنه كفر صراح .. ! وأكثر ما عزی إلى الخلاج من هذا القبيل ، وكل ذلك  
لا يجوز شيء منه عند أهل السنة والجماعة ، ومن ذلك قولهم :

تمازجت الحقائق بالمعاني      فصرنا واحداً روحاً ومعنى  
فلا تفش السرائر يا حبيبي      لعل العيش أن يبقى مهيئاً  
ولا يجوز إطلاق هذا ولا اعتقاد معناه لأنه كفر .. !

ويجوز في شعر الشعراء إطلاقات من نوع آخر يجب على كل مكاف  
التحفظ منها وتغييرها على مطلقها .. ! وإنما لم نذكر مقالته <sup>(٢)</sup> لأنها كفر  
حرام لا يخفى على أحد ردها متى سمعها .. !

---

(١) هكذا في نسخة ( ب ) ولا وجود لهذه العبارة في نسخة ( أ ) .

(٢) كذا في النسختين .. ويظهر أن هناك حذفاً .

وكان بإشيلية إبراهيم بن سهل اليهودي الشاعر ، يضمن شعره آيات من القرآن الكريم ، محرفة عما أنزلت فيه .. فلم يُذكر أن أحداً غير عليه ذلك ، فكان ذلك من دواعي خراب إشيلية .. ! وذلك كقوله :

موسى تنبأ بالجمال .. ! وإنما هاروتُ لا هرونُ من أنصاره .. !  
وكقوله :

أتيتَ قلبي يا موسى على قدر .. !

وكقوله أيضاً :

ألا ليت شعري من بآخر سبعٍ ومن هو في التنزيل قبل الذي وفي  
وكقوله :

مرّاضعُ موسى أو وصال سميّة نظيران في التحريم يشتهيان  
وهذا كله وما أشبهه حرام إطلاقه ، وإحراقه واجب ، ولا يحل بيعه في الأسواق ، وقال ابن خميس من أهل مالقة في قصيدة له :

ودع ضلوعي يا فؤادي وارحل ما الحب إلا للحبيب الأول  
إلى أن قال فيها :

واذهب بحالك لا بأهلك تقبّس ناراً ، فقبس النار للمتأهل  
وإذا رأيت الطورَ دكَّ لا تُمرّع فالسرّ في السكان لا في المنزل

فهذا الكلام يقتضي حط مقام موسى عليه السلام عن المقام الذي أمر به هذا الناظم قلبه ! لأنّ موسى عليه السلام ذهب ليقبّس النار ، لأنه سار بأهله ، وصعق عند دك الطور ، فنهى قلبه هذا الناظم عن هذا المقام ، إلى ما هو أسنى في زعمه ، ولم يعلم أن أفضل المخلوقين إنما هو بحكم الخالق لم سبحانه بما يشاء من ذلك ، وقد انعقد الإجماع على أن من سوى الأنبياء عليهم السلام من البشر

لا يبلغ مقامهم ، فكانت هذه الإشارة خطأ بإجماع الأمة .. ! ولو تتبعنا  
أمثال هذا في الشعر لطلال .. ولكن فيما ذكرناه ما ينبئ على مثله مما لم  
نذكره .. ! والمستبصر في دينه لا يخفى عليه ردّ ما يقع من مثل هذا .. !  
لأن الدلائل اقتضت منعه على ما قدمنا بيانه .  
ولقد ذكر العلماء أن سبب توبة أبي العتاهية الشاعر أن قال قصيدة  
له ، فيها :

الله بيني وبين مولائي أبديت لي الصّدّ والموالاة

فقليل له في منامه : أما وجدت من تحمل بينك وبين امرأة في الحرام  
إلا الله .. ! فاستيقظ مذعوراً ، فتاب ولم ينظم بعد ذلك بيتاً من شعر إلا في  
الزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة ، حتى جمع من شعره في ذلك كتابه  
المسمى : ( بزهد أبي العتاهية ) والتوفيق من الله تعالى .. !

وينتهي بعض كتاب صدور الرسائل ونحو ذلك من المخاطبات ، في تخطيط  
بعض الناس إلى ما لا يجوز مثل قولهم : الأعلى الأعظم .. ! وأوصاف الربوبية  
لا تطلق في حق المخلوقين ، وكذلك يمتنع عليهم مزاحمة أوصاف النبوة ،  
كقول بعضهم في تخطيط من دون الأنبياء عليهم السلام .. ! أفضل العالم .. !  
فخر بني آدم ! حجة الله على الخلق .. ! صدر صدور العرب والعجم .. !  
وهذه الأوصاف إنما هي للنبي عليه السلام .. فإن قال المطلق لذلك قصدت  
بقولي : أفضل العالم عالم زمانه .. وحجة الله على الخلق ، خلق زمانه .. !  
قليل له : أوهم كلامك العموم ، ومزاحمة أوصاف النبوة ، فامتنع الاطلاق .. !  
ويقول قائلمهم : ما في الوجود إلا الله ! ويقولون : الله فقط .. !

وهو لفظ موهم من وجهين : الأول ، أنه إطلاق يوهم قول القائلين  
بالاتحاد ، وهو باطل بالضرورة ، وكفر صراح .. ! والثاني ، أنه يقتضى



حذف اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكراً باللسان ، وكتبنا ، ويومهم اعتقاد  
 قائل ذلك كذلك .. ! ودين الإسلام مبني على قول : لا إله إلا الله محمد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن حذف اسم الرسول عليه السلام من هذه  
 الشهادة ، لم تقبل منه ولم يصح إسلامه بالإجماع ، وهذا المعنى هو الذي لاحظ  
 شيخ مشايخ الصوفية والسنة في زمانه أبو علي يونس بن السباط<sup>(١)</sup> رحمه الله  
 في رده على هذه المقالة والإطلاق كما أظروه ، وبلغه ذلك ففكر ساعة ، ثم  
 استحضر دواة وقرطاساً وأملى هذه الآيات :

ماللرسول على متين علائمه      تُخلى صدور الكتب من أسمائه  
 ماذاك إلا أن راسم صحفها      ولو استقام<sup>(٢)</sup> يعد من أعدائه  
 زادوا نفوسهم ومن والاهم      عن أن يفوهوا باسمه وثنائه  
 وكذا يذاد القوم يوم معادهم      عن حوضه ومقامه ولوائه  
 صلى عليه الله رغم أنوفهم      وعبادته في أرضه وسمائه  
 ما خلق لللوان أعماراً الورى      وانهل جفن المغمرات بمائه

فلما اقتضى الإطلاق ما قلناه من المذاهب الفاسدة ، وجب منعه ،  
 والصواب أن يقول القائل : ما في الوجود في الأزل إلا الله ، وما في الوجود  
 في الأبد خالق ولا رازق إلا الله .. ! لأننا إذا لم تقل هذا وأطلقنا أوهم قول  
 القائلين بالاتحاد ، وهو كفر صراح .. !

ويقولون : الله في قلوب العارفين به ، ويوم الحلول ، وهو محال على الله

---

(١) انظر شجرة النور الزكية ص ١٩٣ . وكتب هناك : ابن الصباط  
 بالصاد . وانظر فهرسة الوادياني ( مخطوطة ) وانظر رحلة النجاني ص ٢٦٠ .  
 (٢) في نسخة « ب » ، ولو استقل .

تعالى ، فالصواب أن يقال : معرفة الله في قلوب العارفين ، وما ورد في الحديث من قوله عليه السلام إخباراً عن الله : « لن تسعني أرضي ، ولا سمائي ، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن » فعناه لن تسعني أرضي ولا سمائي لاستحالة المكان في حق ، ولكن العلم بي ، وتزويجي عن المكان والزمان ومحات الحدثنان في قلب عبدي المؤمن .. ! وللشارع أن يطلق ما يشاء مما يتعبدنا بتأويله .. ! وليس لنا نحن أن نطلق متشابهاً ونطلب من الخلق تأويله ، كما تقدم بيان ذلك قبل .

ويقول قائلهم : الله في باطنى وظاهرى .. ! وهو موهوم في حال إطلاقه من غير بيان .. فيمتنع كما تقدم .. ! ويقولون : أ كبرُ في كل مكان ، ولا يخلو منه مكان ، تعالى الله عن المكان والزمان ، فيمتنع لذلك ، لأنه يستحيل في حقه تعالى ..

ويقول قائلهم في التكبير : الله أ كبر .. ! بزيادة ألف بعد الباء ، وذلك لا يجوز لأنه جمع كَبَر ، وهو طبل صغير .. ! ويقول قائلهم في التكبير أيضاً : الله أ كبر ، بإبدال الهمزة واوا .. ! وذلك لا يجوز في حق الله تعالى ، لأن الوكبر دُوَيْبَةُ صغيرة .. ! ولو قصد المعنى هنا لكان ، كافراً .. ! وهو إذا لم يقصد المعنى مُخْطِئٌ .. ! ولفظه لفظ الكفر .. ! إذا قصد معناه .. ! ويقول قائلهم : الله أ كبر .. ؟ على صيغة الاستفهام .. ! ولو قصد معنى الاستفهام هنا لكان كافراً أيضاً .. ! لأنه يستفهم .. ! ولا يقع الاستفهام على الحقيقة إلا من غير معتقد لما يستفهم عنه ، والشك في كبرياء الله تعالى كفر صراح .. !

ويقول قائلهم إذا دعا لأحد : الله يحافظ عليك .. ! ولم يرد بهذا اللفظ شرع ، ومع ذلك فعناه فاسد .. ! لأنه إطلاق يقتضى لفظ المفاعلة والمغالبة

حتى يقع ذلك الفعل ، وذلك محال في حق الله تعالى ، وإنما يقال : الله يحفظك .  
وأما قوله : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » فمؤول إلى معنى تعظيم البلايا  
المدفوعة عن المؤمنين .. ! وهو تعالى يدافعها ، أى يخلق أصدادها بقدرته  
من غير مغالب ولا مدافع ، وإنما احتجنا إلى التأويل لأن ظاهر المفاعلة  
لا يكون في لسان العرب إلا بين اثنين ، فإن ورد بخلاف ذلك كما في هذه  
الآية ، وجب تأويله لما قام من الدلائل على أن الله تعالى هو الخالق وحده ،  
فلا مدافع ولا ممانع .. !

ويقول قائلهم أيضاً إذا دعا لأحد : الله يرضى عنك ، ولا يجوز أيضاً ،  
لأن يرضى معناه يطلب الرضا من غيره ، ورضا الله هو المطلوب الأعظم ،  
لا رضا غيره ، وإنما يقال : الله يرضى عنك .. !

ويقولون أيضاً : هذا زمن سوء ، وليس لهم في الزمان نفع ولا ضرر ،  
فتعود أغراضهم إلى الفاعل سبحانه .. ! ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر .. ! » أى فإن الله هو  
الفاعل وحده ، دون الدهر أو غيره ، لأنكم إذا سببتم الدهر وهو في الحقيقة  
لم يفعل شيئاً فيصير سبكم للفاعل سبحانه وتعالى ، فيكون كفراً .. !

ويقول قائلهم : المدير يدبر في السماء ! وهو تصريح له بالمكان ، تعالى الله  
عن ذلك علواً كبيراً .. !

ويقول قائلهم : تظلمنى .. ! الله يظلمك .. ! وهو باطل .. ! لأن الظلم  
على الله محال . ويقولون أيضاً : تغدرنى .. ! الله يغدرك .. ! وهو ممنوع  
كما تقدم . ويقولون : الله يغدر كل غادر ، وهو باطل أيضاً لما تقدم .. !

ويقول قائلهم : هذا حق كما أن الله في السماء حق ، وهو تصريح بالمكان

المستحيل على الله تعالى . ويقول قائلهم : لى فى الخضراء إله لا يضعنى ،  
وفيه الإشارة إلى المكان أيضاً فامتنع لأن الخضراء يشيرون بها إلى السماء . .  
ويقولون : ما يضع الله ما خلق ، ويعنون به ما يتركه دون رزق ، والله سبحانه  
لا يجب عليه شىء ، إن شاء أعطى ، وإن شاء منع . فلما أوهم التحجير على الله  
فى ملكه والإيجاب امتنع . ويقول قائلهم : ما يسمع الله من سكت وهو خطأ .  
قال الله تعالى : « أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ، ورُسُلنا لديهم  
يكتبون » ، وقد قامت الدلائل على أن الله يسمع كل موجود .

ويقول قائلهم إذا رأى بعض الناس مريضاً : ما يستحق هذا شراً ..  
فيعتقد أن المرض شر ، وهو خير على الحقيقة ! ويعتقد أن ذلك الشخص إنما  
يستحق العافية . وقد قام الدليل على أنه لا يستحق أحد على الله شيئاً ،  
إذ كل نعمة من الله فضل ، وكل تقمة منه عدل ، ولا يُسأل عما يفعل  
وهم يُسألون .

ويقول قائلهم : يا حليمٌ لا يعجلُ . والصواب أن يقول : يا حليم  
لا تُعجلُ ، لأن الأول ينزل منزلة الصفة لله تعالى فينزل ذلك منزلة الوجوب ،  
لأن صفات الله واجبة ، والرب تعالى لا يجب عليه تأخير عقاب المذنبين ،  
بل لو شاء لفعل ما له ففعله من تعجيل عقابهم فأخرهم بفضلهم وحلمه ، فيسأل  
العبد بالأدب مع الله تعالى . فيقول : يا حليمٌ ، لأنه اسم من أسمائه تعالى  
لا تُعجلُ .. ! فيسأل التأخير من الرب . والنقل فى هذه المسألة من أكبر  
العلماء كما ذكرناه ، وبعضه من طريق المعنى . لأنك لا تقول أيضاً : يا كريمٌ  
لا يمنع ، لأنه تحجير على الله فى ملكه ، لأن من أسمائه الحسنى : المغنى  
المانع .. ! فيعطى تعالى ما يشاء لمن شاء ، وكذلك أيضاً لا تقول : يا حليمٌ

لا يعذب ، ولا ينتقم ، كأنك تنفي وتنجبر على الله ما له أن يفعله إن شاء الله .  
قال الله تعالى : « يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء » . وقال : « إنا من  
المجرمين منتقمون » .

ويقول بعض الجهال لبعض : لنا عنده رزق ، وله عندنا عمل ! وهو إطلاق  
منوع ، لأنه يوم الوجوب على الله تعالى ، ولا يجب لنا على الله شيء ، وإنما  
رزقنا بفضلله ، وتعبدنا بعزه وجلاله وقهره وغدله وسلطانه . وقول بعض  
الجهال : اعمل له ما يريد ، يعمل لك ما تريد ! واعمل له ما يكره ، يعمل لك  
ما تكره ! وهذا إطلاق باطل ، لأنه يقتضى أن الله سبحانه يقع في ملكه  
مالا يريد . وقد قامت الدلائل القطعية على أنه سبحانه لا شريك له ، وأنه  
خالق لجميع المخلوقات ، فلا يقع في ملكه إلا ما يريد . فجميع الخلاق مقهورون  
بقدرته ومشيئته . ويقول بعض الجهال : فلان يعييا فيه القضاء ! وهو كفر  
صراح لأن قضاء الله وقدره لا مرد له ، ولا يمتنع عليه شيء ، ولا يقف عن  
ممكّن ، لما قام من الدلائل اليقينية على ذلك . . .

ويقول قائلهم : الله يمتننا على خير الأديان ، وظاهر هذا الكلام الشك  
من قائله فيما هو خير الأديان ، والشك في هذا كفر والعياذ بالله من الجهل . . .  
والصواب أن يقول القائل : اللهم أمتنا على الإيمان والإسلام . . . ويقول  
بعضهم : اللهم احشرنا مع المسلمين بفتح اللام ، وهو خطأ لأنه دعا أن يحشر  
مع المسلمين الذين أسلموا للبلايا ، وهم الكفار ، لأنهم لا ناصر لهم ، ولا شافع .  
قال الله تعالى : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى  
لهم » أى لا ناصر لهم . والصواب أن يقول : اللهم احشرنا مع المسلمين بكسر  
اللام ، الذين أسلموا لله ، واستسلموا ، أى انقادوا له سبحانه وتعالى بظواهرهم  
وبواطنهم . . .

ويقول قائلهم : ارحمنا تحتك يا الله .. ١ ويقولون : تراه يرانا .. ١٠  
ويشيرون بأصابعهم إلى السماء ، تعالى الله عن الفوق والتحت واليمين وسائر  
الجهات . ويقول قائلهم : ما نزل من السماء أمر أشد من العمي .. ١ وفيه  
الإشارة إلى الملك في حق الله تعالى ، وهو محال ، وفيه القول بنزول الأعراض  
وهو محال ، وفيه السخط بقضاء الله تعالى ، وفيه الكذب .. ١ ويقول قائلهم :  
هذا الأعمى مغبون .. ١ وهو خطأ ، لأنه يقتضى أن الله غيب العميان في القسمة  
الآزلية . فكأنهم كان يجب لهم عند الله غير ذلك فغبنوا في القسمة ! والله  
سبحانه لا يجب عليه شيء لأحد ، فلم يغبن أحداً ، بل قسم ما شاء لمن شاء  
من غير غبن ولا استخفاف عليه ، على ما تقررت براهينه في قواعد العقائد .

ويقول قائلهم : الجوع كافر بالله .. ١ وهذا خطأ ، لأن الجوع عرض من  
الأعراض فلا يصح أن يقوم به الكفر لأنه عرض أيضاً ، والعرض لا يقوم  
بالعرض ، وإذا قصد القائل الكفر بلسان حاله ، فلسان الحال أبلغ من لسان  
المقال .. قال الله سبحانه : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن  
لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً غفوراً .. ١ » فالإشعار بأنه يفقه بالقلوب ،  
وذلك لمن خصص بذلك .. وأن يسمع بالأذان .. ١

ويقول قائلهم : ما يرحمك إلا الله وحدهمك ! وتعالى الله عن الشريك .  
ويقول بعض الجهال : إنا ما نكذب تحت ربي<sup>(١)</sup> . تعالى الله عن قول  
الجاهلين علواً كبيراً . ويقول قائلهم : هذا لله ولك ، وهو شرك . ويقولون :  
الدنيا لله وللغالبين ، وهو شرك أيضاً . ويقولون : ما معي إلا أنت مع الله ،

---

(١) على اللهجة الأندلسية التي تعبر عن المتكلم الواحد بصيغة الجمع .. ١  
وما زال ذلك معروفاً في اللهجة المغربية إلى الآن .

وتعالى الله عن الشريك علوا كبيرا . ويقول قائلهم : لولا فلان إيش كان يكون منا ١٠٠ ! ويقولون : لولا صحتي ، لولا راسي ، لولا فلان ، لولا كذا ما كان كذا ، لولا الدوا ما كان الشفا ، لولا النار ما كان الإحراق ، لولا الطعام ما كان الشبع ، لولا الماء ما كان الري . . . ! وأمثال ذلك من المعتادات وكل ذلك ممنوع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم ولو ؟ فإن لو تفتح عمل الشيطان . . » وقال عليه السلام : « الشرك في أمتي أخفى من ديب النمل » . قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله في تفسير الحديث : هم أهل لولا كذا ما كان كذا ، إذ في ذلك نسبة الأفعال إلى غير فاعلها ، والحق في ذلك هو أن يقول الموحد : لولا الله وما شاء الله . . . ! ويقولون : يجعل الله لكل شيء سبباً ، وهو باطل . . . ! لأنه كلام يلزم منه التسلسل ، لأن السبب شيء معمول يستدعي سبباً آخر ، إلى غير نهاية ، فليزِم منه القول بقديم العالم . . . ! وهو كفر والعياذ بالله من سخطه . والحق أن يقول : يخلق الله سبحانه شيئاً عند شيء ، وتارة يخلق شيئاً لا عند شيء . . . !

ويقول قائلهم إذا رأى أزهار الربيع : انظر إلى صبغة الله ، أيقدر صباغ أن يصبغ مثل هذا ، وظاهر هذا الكلام حسن ، إلا أن الدرك يدخل إليه من قبل اعتقاده أن الصباغ هو الذي جعل اللون الصباغ في الثوب على يده ، ولم يعلم أن الكل خلق الله سبحانه ، لكن خلق سبحانه أحد اللونين عند شيء ، وخلق الآخر عند شيء . . . ! ومن هذا قولهم في البياض صباغ الله . وكذا يقولون في الثوب المسلي<sup>(١)</sup> . . . ؟ هذا صباغ الرحمن لتوهمهم ما ذكرناه من أن الصباغ له فيما سواه أثر ، وليس كذلك ، بل كل لون في الحقيقة هو صباغ الله كما قدمنا ذكره ، إذ لا خالق سوى الله تعالى . . . !

(١) هكذا في نسخة (ب) ولا وجود لهذه الكلمة في نسخة (أ) .

ويقول قائلهم : سبحان المنفرد في سمائه ، وفيه الإشارة إلى المكان ،  
فامتنع إطلاقه من قبلها . وأما قوله تعالى : « أأمنتم من في السماء » وما أشبهه  
فتؤول إلى معنى السمو والعظمة دون المكان الحسى ، لأنه مُحَالٌ في حق الله  
تعالى ، كما تقدم بيانه .

ومن ذلك قول بعض الخطباء : سبحان من لم يزل موجوداً ، سبحان من  
لم يزل معبوداً ، فقوله : سبحان من لم يزل معبوداً محال . إذ فيه القول بقدم  
العالم وهو كفر . . . ١

وفي هذه المسألة ذكر لي والدي<sup>(١)</sup> رحمه الله عن شيخه : أنه قال حضرت  
جنازة مع شيخى رحمه الله ، فقال خطيب القوم عند الانفصال : سبحان من لم  
يزل موجوداً ، سبحان من لم يزل معبوداً . . . ١ قال : فسمعت شيخى يقول :  
آمنتُ بالأولى . . . ١ وكفرت بالثانية . . . ١ قال : فقلت له كيف ينهم هذا . . ؟  
قال : إن الكلمة الأولى صحيحة . ١ لأنه تعالى لم يزل موجوداً ، وأما الكلمة  
الثانية فقول باطل ، وهو قوله لم يزل معبوداً ، لأنه يقتضى عابدين في الأزل . . ١  
وهو قول بقدم العالم ، وهو محال ، والقول به كفر ، والكفر بالكفر إيمان .  
قال الله تعالى : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة  
الوثقى » .

ويقول بعض الجهال : سبحان الله ! وما يخلق ، فيشرك المخلوقين مع الخالق  
سبحانه في التسبيح وهو خطأ عظيم ، ولو قصد المطلق لهذا اللفظ معناه لكان

---

(١) أطلعنا على نص والده في رسالته المخطوطة المسماة : ( الأربعون  
مسألة في أصول الدين ) وهى رسالة صغيرة في كراسة ضمن مجموع ( ج ١ )  
بمخرطة الإدريسي بفاس .



كافرا ! لأنه إشراك وتناقض ! ويقول قائلهم : ما لهذه الدنيا أول ... !  
وهو باطل كما تقدم بيانه . ويقول : ما يُرى مثل هذه الزمردة الخضراء  
أبدأ ... ! يعنون السماء ، وهو كفر لأنه إنكار للآخرة ... !

ويقول بعضهم : ما رأيت قط من رجع من المقابر ... ! وهو إنكار  
للإعادة في ظاهره ، فكان كفرا . ويقول قائلهم : كذا وجدناها ، وكذا  
نتركها ، وهي كلمة الملحدِين المنكرين للحشر ، جرت على ألسنة بعض العوام .  
ويقول قائلهم : هذه الدنيا قديمة ، وهو قول بقدم العالم ، وهو كفر والعياذ  
بالله من الجهل ... !

ويقول قائلهم : للأمر حيلة ... ! وهو كلام فاسد ! لأنه التجاء في المضايق  
إلى التحيلات ، دون الله سبحانه ، وفيه الإعراض عن التوكل ، والتفويض  
لله في جميع الأمور ، فامتنع الإطلاق ، لأجل اقتضائه ذلك ، فامتنع اعتقاد  
ذلك أيضاً ... !

ويقول قائلهم : سبحان الطائق الأزلى ، وأكثر ما يطلق هذه الكلمة  
اليهود ... ! ثم جرت على ألسنة بعض العوام ، فالطائق لفظ ممنوع إطلاقه  
في حق الله تعالى بالإجماع ، والأزلى يصح إطلاقه في حق الله تعالى ، ويعوض  
الطائق بالقادر والمقتدر ، والقوى ، وذى القوة .

ويقول قائلهم : ما يفعل الله إلا الصلاح ! وهو اعتزال ! لأنه يقتضى أن  
ما وقع في العالم مما ليس فيه ذلك أنه ليس من فعله سبحانه ، وهو مذهب  
المعتزلة ، والمجوس . ولهذا قال عليه السلام فيهم : « جحوسُ هذه الأمة »  
والصواب أن يقول القائل : الله خالق كل شيء ، فإن شاء أصلح ، وإن شاء  
أهلك « لا يُسأل عما يفعل ، وهم يُسألون ... » إذ لا يجب عليه رعاية الأصلح ،

على ما تقرر في قواعد العقائد . . . ١ وقد أشبعنا في تفسير ذلك وغيره من القواعد السنية ، في مقدمة كتابنا المسمى : بكتاب التمييز لما أودعه الزخشرى من الاعتزال في تفسيره للكتاب العزيز . ١

ويقول قائلهم لشيء ينكره : خلق الله هذا . . . ١ على وجه الإنكار أن يكون ذلك الشيء خلقه الله سبحانه ، والله سبحانه هو الخالق لكل شيء .

ويقول قائلهم : هذا إشفاة الله ! وهو سوء أدب مع الله تعالى . ويقول بعضهم : ما يريد الله إلا خيراً . . . ١ وقد تقدم التنبيه على الرد على هذا الإطلاق ، والصحيح أن الله تعالى فعال لما يريد ، خيراً كان أو شراً ، نفعا كان أو ضرا ، إذ لا خالق سواه . . . ١

ويقول قائلهم : وأكثر ما يجرى ذلك على السنة أهل البادية : تركتك مع الأزرق ، ويعنون السقف الأزرق ، وهو السماء . . . ١ وهي نسبة المجازاة والأفعال إلى السماء ، وهو كفر بالله تعالى . . . وإن وصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين فأشد كفراً . . . ١ ويقول قائلهم إذا رأى من فُتح عليه بخير : إنما هذه مواليد ، يعنون بذلك أنها مواليد بطوالع النجوم . ! وقد أبطلنا ذلك على القائلين به في : قواعد العقائد ، وعلم بالبراهين القاطعة أنه لا يكون في العالم إلا ما قدره الله . . . ١

ويقولون : سعد فلان أعطاه . ويقولون لشيء يكرهونه : هذا من ضعف المكتوب<sup>(١)</sup> يعنون بذلك ما كتب في اللوح المحفوظ ، وسبق به القدر ، وفيه التسخط بفعل الله سبحانه فرجب منه . ويقولون : هذا من ضعف النجم ، وأكثر ما يجرى ذلك على السنة النساء . ومن قولهن : وإش كان نجم

فلانة ١٠٠ ومن بياض نجم فلانة كَيْت وكَيْت ١٠٠ ومن سواد نجم فلانة ١٠٠ .  
وليس لمن في النجوم نفع ولا ضرر ، ولا ما يدل على ذلك ، ولا لها سعادة ،  
ولا شقاوة على ما تقررت براهينه في علم التوحيد . . وإنما النجوم على ثلاثة  
أقسام ، في أوجه انتفاع الخلق بها ، كما قسمها الله تعالى الذي خلقها . . فهو  
العالم بها « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

القسم الأول : زينة للسماء ١٠٠ قال تعالى : « ولقد زيننا السماء الدنيا  
بمصابيح » .

والقسم الثاني : من أوجه انتفاع الخلق بها كونها أيضاً رجوما للشياطين ،  
قال الله سبحانه : « وجعلناها رجوما للشياطين » .

والقسم الثالث : ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، عند انبهام الجهات  
والأوقات على الخلق ، قال تعالى : « وبالنجم هم يهتدون » .

ويقول قائلهم : يعلم الله بعلامات الحق . والرب سبحانه علمه قديم  
لا يتوقف على علامات يعلم بها ، وعلوم الخلق النظرية هي التي تحصل عند  
النظر في الدلائل والعلامات .

ويقول بعضهم إذا دخل عليه أحد أو قدم عليه قادم : « لقد جئت على  
قَدَر يا موسى » وإن تكلم أحد بما لا يريد السامع قال : « لا تحرك به لسانك »  
وكل هذا ممتنع ، وما جرى هذا المجرى ، لأن القرآن العظيم موقوف<sup>(١)</sup> على  
موارده ، محرم استعماله في المجازات<sup>(٢)</sup> ، لأنه تهاون بالقرآن ، وتعرض لتحريته  
عما نزل فيه وهو محرم بإجماع الأمة ١٠٠

---

( ١ ) سقطت كلمة ( موقوف ) من نسخة ( ب ) .

( ٢ ) في نسخة ( أ ) المحاورات .

ويقول بعضهم : لا تخرجوا الحاجة الفلانية من الدار في آخر النهار . . .  
ولا تدخلوا الحاجة في هذا النهار إلى الدار ، أو في وسطه ، وهذا تطير منهى  
عنه شرعا وباطل عقلا ، ببرهان افراد الله سبحانه بالخلق والإبداع والأزمان  
لتغير الخلق ومستحيل أيضاً أن يتغير القدر السابق . ويقول بعضهم : لا تطلب  
منى دينك الذى على أول النهار ، حتى يدخل في يدى شيء . . . وأكثر ما يجرى  
هذا بين أهل الأسواق وهو أيضاً تطير منهى عنه شرعا ، بل يحق له السرور  
بابتدائه أول النهار بأداء حق واجب عليه أداؤه ، فيمثل أمر ربه بأدائه ،  
وفى أدائه ذلك طاعة ربه وبراعة ذمته أول النهار مما يوبقه في الدنيا والآخرة .

ومن هذا الباب قول قائلهم : مطرنا بنوء كذا وكذا ، أو بنوء الثريا ،  
وفى هذا استظهار بالنجوم ، وفى هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
يقول الله عز وجل : « أصبح من عبادى مؤمن وكافر » فن قال مطرنا  
بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب ، ومن قال مطرنا بنضل الله  
وبرحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، فبهى عليه السلام عن الالتفات  
إلى النجوم إلا فى الأوجه المتقدمة الذكر ، التى نبه الله سبحانه عليها فى كتابه  
العزیز ، من كونها « رجوما للشياطين » إلى آخر ما ذكرناه . . .

ولقد حكى المبرد فى كتابه المسمى بالكامل : أن مولانا عليا كرم الله  
وحمه خرج إلى قتال الخوارج فقال له رجل : يا أمير المؤمنين لا تخرج فى هذه  
الساعة فإنها لعدوك عليك ! فقال على رضى الله عنه للناس : إن هذا يزعم  
أنه يعلم الساعة التى هى لى على عدوى ! والساعة التى هى لعدوى على . . .  
وإنى توكلت على الله ربى وربكم وعصيت أمر كل ما كتبته . . . قال وخرج  
لوقته لمقاتلتهم فطحنهم طحنا . . . وذكر بعض علماء أهل السنة أن ملكا من

ملوك الإسلام في الصدر الأول ، قاتل الكفار فاصطف جيشه وجيش الكفار للقتال ، فأقام الملك لا يقاتل ، وجيشه كذلك مُنِع من القتال . فجاء بعض علماء أهل السنة ذلك الوقت . فقال : ما للناس لا يقاتلون . . . ف قيل له : المنجم قال لملك الإسلام : لا تقاتل في هذا الوقت . فتقدم ذلك العالم حتى وصل إلى الملك فقال له :

دع النجوم لطرقى يعيش بها . وقم لوقتك وانهض أيها الملك إنَّ النبي وأصحاب النبي نهوا عن النجوم وقد أبصرت ممالككم . فقام الملك وأمر الناس بالقتال فهزموا الكفار بإذن الله تعالى وتوفيقه لهم باتباع نبيه عليه السلام . وأنشد بعض أهل السنة في الرد على المنجمين ، وإبطال دعواهم :

يقول المنجم لي لا تسر فإنك إن سرت لا قيت شرا  
فإن كان يعلم أنني أسير فقد جا بالنهي ظلما وجورا  
وإن كان يجهل أنني أسير فجهل العواقب أولى وأحرى

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني رحمه الله للملك فنا خسرو بن بويه الذي وجهه إلى رومه لمناظرة النصارى . عند توجيهه له : هل رفعت الطالع لخروجك ؟ فقال القاضي رحمه الله : فقلت له : وما الطالع ؟ فقال لي : عجباً لك ! إذ تكون عالم المسلمين وتقول : وما الطالع ؟ كأنك لا تعلم النجوم ! قال : فقلت له : أعلم أن النجوم في السماء ! فقسمها رحمه الله إلى الأقسام الثلاثة المتقدمة الذكر . قال : فأمر الملك عند ذلك باحضار الصوفي المنجم صاحب كتاب أشكال البروج ، وأبي سليمان المنطقي لمناظرة القاضي في هذه المسألة ، وقال : هذا أوكد على من أرسلاك إلى بلد الروم . . . فحضرا

فناظرهما القاضى فقطعهما بالدلائل اليقينية والبراهين القطعية العقلية والشرعية ،  
وخرج إلى أرض الروم فقطع جميعهم هنالك فى مناظرته الشهيرة التى أودعنا  
ذكرها على وجه البسط والبيان « كتابنا المسمى بعيون المناظرة » فمن أحب  
الوقوف على ذلك فعليه بذلك الكتاب .

وَيُسْأَلُ بعض العوام على حاله فيقول :

أقول بخير ولكنَّه كلام يدور على الألسنة

ويرى أنه بهذا الكلام من الأدباء . ١ ولم يعلم أنه قد أساء الأدب مع الله  
تعالى ، وجهل أن الله عليه من النعم مالا يحصى . قال الله تعالى : « وإن تعدوا  
نعمة الله لا تُحصوها إن الإنسان لظلم كفار » ولم يعلم أن الله سبحانه قد دفع  
من البلايا عنه مالا نهاية له مما فى مقدوراته تعالى لأن مقدوراته لا نهاية لها . ١  
ويقول قائلهم إذا سئل عن حاله أيضاً : فى عافية يقول اللسان . ١ فكأنه ليس  
فى عافية على الحقيقة وهو تسخط بقضاء الله تعالى فوجب منه . ١

ويقول قائلهم إذا كلمه أحد وهو فى حَرَج : لا تزد على من زاد الله  
عليه . ١ وهو تسخط بقضاء الله ، وسوء أدب معه ، فوجب منه . ويقول  
قائلهم إذا لم يستحسن شيئاً : ما لله بهذا حاجة ، فيثول كلامه إلى أن ذلك  
الشيء لو كان حسناً لكان لله فيه حاجة ، وهو خطأ ، لأن الله سبحانه لا يحتاج  
إلى شيء مطلقاً ويحتاج إليه كل شيء ، وكل إطلاق من قبيل المكلفين يوم  
الباطل ، فهو باطل كما تقدم بيانه ، وهذا اللئى من ذلك القبيل ، فوجب منه .

ويقول بعضهم إذا رأى طفلاً صغيراً متألماً : هذا الطفل أصابه هذا الألم  
بذنوب والدينه ، وهى كلمة اعتزالية جرت على ألسنة العوام ، ومنهجه أهل  
السنة رضى الله عنهم جواز إيلام البرىء وذلك مما يجوز من أحكامه تعالى فى

خلقه ، فكيف يعاقب الطفل بذنوب والديه وهو غير مكلف فقد قال الله تعالى : « ولا تزرُ وِزْرَةَ وِزْرٍ أُخرى » . ويقول قائلهم : الله يحول عن فلان ألمه . والصواب : يدفع عن فلان ألمه . ويقول بعضهم : هذا الألم تحذفه الطبيعة ، ويزول . . . ! ولا طبع ولا طبيعة على التحقيق . ! ولا فاعل إلا الله ، على ما تقررت براهينه في علم أصول الدين الذى هو أصل كل العلوم . ويقول قائلهم : الجهل طبع خامس ! ومتى صح ثبوت طبع أو طبيعة حتى يصح ثبوت عدد ذلك . ويقول قائلهم : « وتأبى الطباع على الناقل » وهذا نسبة الأثر إلى الطبيعة ، ولا أثر إلا لله سبحانه . ويقول قائلهم : طبع الهواء ، وطبع الماء والبلد ، وهو من قبيل ما تقدم ذكره ، ولا حكم للهواء ، ولا للماء ، ولا للأماكن كلها ، وإنما الحكم فى جميع المخلوقين لخالقهم سبحانه وتعالى على ما تقررت براهينه فى علم التوحيد . ويقول المتطبيون : فحياة بالحيلة . ! وموت بالطبع . . . ! وهو خطأ ، وإنما الحياة يخلق الله سبحانه لها فى المحل ، والموت يخلق الله سبحانه له فى المحل ، بدل من الحياة ، على ما قامت به البراهين القطعية . ويقول قائلهم : إذا خلقت راحة مريض عند بعض الأدوية بسرعة ، هذا الدواء دواء عيسى بن مريم عليه السلام . وإن قيل له : أبطأت الراحة على هذا العليل . قال : لو كان هذا الدواء دواء عيسى بن مريم . . . ! وهذا كلام<sup>(١)</sup> موهم كون معجزات عيسى عليه السلام عنده عقاير وأدوية ، وليس الأمر كذلك ، بل المعجزات خوارق للعادة ، بقدرة الله تعالى من غير أسباب ولا معالجات ، فامتنع ذلك الإطلاق والوهم .

ويقول قائلهم : فلان مات مقتولا . ! وفلان مات بأجله . ! وفيه إيهام أن المقتول مات لا بأجله ، وهو اعتزال ، وقد قامت البراهين اليقينية على

---

( ١ ) هذه الجملة ساقطة من نسخة ( ب ) .

أن كل من مات إنمات بأجله ، لكن من تلك الآجال ما يظهره الله سبحانه عند سبب ، ومنها ما يظهره الله تعالى لا عند سبب . . . ! وبرهان ذلك ما علم من وجوب تعلق علم الله سبحانه بكل معلوم كل أو هو كائن ، أو سيكون ، على ما عليه يكون ، وما لا يكون لاستحالة أن يكون ، وما لا يكون مع جوازه أن لو كان كيف يكون . قال الله تعالى : « ولو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عنه » ويعلم تعالى ما يكون أن لو يكون على أى وجه يكون .

ويقول قائلهم : أنا بالله وبك ، وتعالى الله عن الشريك . ويقول قائلهم : قيل للجبل : لم تفعل كيت وكيت مُعْجَاجاً ؟ فقال : وأى شئ رأيتم فى مقوماً حتى أفعَل مقوماً ؟ وغفلوا عن قوله تعالى : « أنلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » وكم فيها من لطائف حكم الله تعالى ، إذا تفكر فيها « وما يعقلها إلا العالمون » من رفعها الأثقال ، وصبرها على الشدائد وقلة أكلها مع عظم أجرامها وقيامها بأحمالها وخفة مؤوتها وسكونها وقناعتها إلى غير ذلك ، ألا ترى أن هذا الذى تذكر العوام أنه من الإبل معوج فهو أقوم من فعل جميع الحيوان البهيمى لذلك . . . ! لأن الإبل تريق مائها خلقتها ، فتبعده عن موقفها <sup>(١)</sup> ، وغيرها من البهائم تريق مائها بين قدميها غير خارج من موقفها . ! فالإبل فى ذلك أنقى . . . ! ثم كَرَّمَ ابن آدم فى ذلك على الكل بتحفظه فى ذلك ، وطلبه السر فى ذلك وغير ذلك ، مما تضمنه قوله تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم » الآية .

ويقول قائلهم : الجاهل هو الكافر ، وهذا جبل من قائله ، لأن الجبل أعم من الكفر ، فكل كافر جاهل ، وليس كل جاهل كافراً . ! إذ قد يكون

( ١ ) هذه الجملة ساقطة أيضا فى نسخة ( ب ) .



الجاهل مؤمناً ، وإن جهل بعض مسائل العلوم ، فإطلاق اللفظ العام في موضع  
الخاص غلط . وهو كمن يقول : الحى هو العالم ، وليس كذلك ، إذ ليس كل  
حى عالماً ، إذ قد يكون الحى حياً وليس بعالم ، ولا يكون العالم عالماً  
إلا وهو حى .

ويقول قائلهم وأكثر ما يجرى ذلك على ألسنة أهل القصص : إن موسى  
عليه السلام قال في مناجاته : يارب هل تنام ؟ فأمره الله أن يأخذ زجاجتين  
في يديه ، ثم أرسل عليه النوم ، فسقطتا من يديه ، ففكسرت الزجاجتان . !  
والمعنى أنه تعالى لوجوب قدمه تعالى ، ووجوب قدم علمه وبقائه ، استحالة  
ضده والنوم ضد العلم ! ولا استحالة الآفات . . ودليل الحدوث عليه سبحانه  
أيضاً . . ! لكن هذا الكلام ممتنع من جهة أخرى . . وهى وجوب عصمة  
الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه من الجهل بالله سبحانه ، وبما يجب له  
وما يستحيل عليه ، وما يجوز من أحكامه في خلقه . . فلا يجوز هذا السؤال  
على موسى عليه السلام لأن الرسل عليهم السلام هم المعلمون للخلق بما يجب لله  
سبحانه وما يستحيل عليه ، وما يجوز من أحكامه في خلقه ، بأصح الطرق  
وأجلها ، والإجماع منعقد على عصمتهم من الجهل بالله سبحانه ، وهو قطعى . !  
ونقل الإسرائيليات غير قطعى . ! فوجب التعويل على القطعى وترك ما يعارضه  
مما ليس بقطعى .

ويقول قائلهم : ما رضى أحد عن الله . ! وهو خطأ لأن الأنبياء عليهم  
السلام والملائكة وأهل المعرفة بالله سبحانه راضون عن الله سبحانه . قال الله  
تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم : علق سيف المحبة تحت ساق العرش . .

إلى قولهم . . . فد يدّه إليه الخليل . . . فقيل له : إليك عن سيف حبيبي يا من قال في القمر : هذا ربّي . ! وينسب هذا الكلام إلى أبي الفرج بن الجوزي رحمه الله ، وبعيدٌ أن تثبت نسبته إليه ، لأن القول في القمر هذا ربّي على ظاهره كفر ، والأنبياء والرسل عليهم السلام معصومون منه قطعاً ، عقلاً وسماً ، لأن دلالة المعجزة منعقدة أيضاً على عصمتهم من ذلك قبل بعثتهم ، كما عصموا منه بعد ذلك ، فلم يقل الخليل عليهم وعليه السلام ذلك إلا على سبيل إقامة الحجة على قومه ، لقوله عليه السلام أيضاً : « بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » أي على زعمكم أنها تفعل . ! فإذا أنكروا إضافة الأفعال إلى الأصنام ، بطل ادعاؤهم الألوهية لها . ووجبت وحدانية الله تعالى ، أي : وكذلك هذا ربّي ! أي على زعمكم ، ثم أقام البرهان على بطلان ذلك بأقول النيرين وتغيرهما الدال على الحدوث والافتقار إلى المخصّص وهو الله سبحانه الخالق المنزه عن مشابهة المخلوقين . ! وقرئ : هذا ربّي ؟ على وجه الاستفهام والعرب تستفهم بهزمة الاستفهام تارة ، وبغير هزمة تارة أخرى وهو أبلغ في المعنى على ما ذكره القاضي أبو بكر في كتاب : الهداية .

وكيف يقول الخليل عليه السلام ذلك على ظاهره ، وقد شهد الله سبحانه بعصمته من ذلك فقال تعالى في حقه : « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » وكل ما ذكر من هذا الكلام المتقدم في حق من ذكره ، قبل ذكر الخليل عليه السلام أو بعده فقول أيضاً لا يصح شيء منه على ظاهره لما عُلّم من انتقاد الإجماع على عصمتهم من الكبائر وما ثبت بالتحقيق من عصمتهم من الصغائر .

ويقول قائلهم أيضاً : إن كان قيل في حق أو في حق غيري كذا وكذا

فقد قيل في الأنبياء عليهم السلام كيت وكيت . . . ! وهذا كله محرم إطلاقه واعتقاده لأن ما انتقص به مطلق اللفظ يضيفه إلى الأنبياء عليهم السلام ليجمعهم مع نفسه في ذلك لتزول عنه المعرة بذلك الجمع . ! ففيه إضافة النقص إلى الأنبياء عليهم السلام فيحرم ذلك ويؤدب قائله ، وإن عظمت جرأته زيد في أدبه .

وكذلك من يسب غيره بالألف ! وهو القائل يا ابن ألف كذا ، لأنه يصل بسبه إلى الأنبياء عليهم السلام .

ويقول قائلهم إذا رأى أحداً زاهداً في شيء : هذا أزهد في هذا الشيء من إخوة يوسف عليه السلام ، وهذا وما أشبهه محرم إطلاقه ، يؤدب قائله ، ومن ذلك امتنع أن يطلق أحد لفظ العصيان في حق أيينا آدم ، لأن ما ورد في القرآن من ذلك كذلك مؤول بأنه كان نسيانا ، وهو عليه السلام معصوم من العصيان ، وللعزيز تعالى أن يؤاخذ بالنسيان من شاء ، وخصوصا من رفع مقامه أو أعلى منزلته . قال الله تعالى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فسى ولم نجد له عزما » أى على المخالفة ، وهو المناسب لظاهر لفظ النسيان ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، خيرة بعضهم من بعض » ، وهذه شهادة عظيمة من الله تعالى ، تدل على عصمتهم وقد ذكرنا أن الإجماع منعقد على عصمتهم من الكبائر ، والتحقيق يقتضى عصمتهم من الصغائر لقبول التأويل في جميع ما ذكر في الشريعة عنهم ، فوجب بقاء شهادة الله لهم بالتركية على أصلها ، إذ لا معارض يصلح لمعارضة تلك التركية الربانية لهم ، فلما كان كل ما ورد في الشريعة في حقهم عليهم والسلام مؤولا ، وجبت عصمتهم ، فلا يجوز لنا أن ننطق في حقهم

إلا بالأدب التام صلوات الله عليهم وسلامه ، والله سبحانه أن يسمى عباده بما شاء ويطلق في حقهم ما يشاء ، وهو جائز في حق الأنبياء عليهم السلام ، وجائز أيضاً في حق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فلا ينسب إليهم إلا الحسن الجميل ، وكذلك كان في نفس الأمر وحقيقته عند محقق العلماء ، كما ذكر القاضي أبو بكر بن الطيب رحمه الله في كتاب الهداية له .

ولا يجوز أيضاً إطلاق لفظ الكثرة في حق الله سبحانه كقول القائل هم فعلوا كذا ، وهم صنعوا كذا . فإذا قيل له من هم ؟ قال : الله ، تعالى عن الكثرة . . . فامتنع ذلك لأنه يوم الكثرة في حقه سبحانه وتعالى ، وذلك مناقض لما وجب في حقه من الوجدانية ، وقد أجمع أبو القاسم الشبلي رحمه الله في بيان منع هذا الإطلاق في كتابه المسمى بالروض الأنف ، في شرح السيرة .

ويقول بعضهم : فلان يعلم الغيب ! وفلان هو أنباء الزمان ! وفلان لا يتصرف إلا بإذن ! وفلان عنده الكشف والاطلاع ! وفلان أخذ تلامذته وأصحابه من اللوح المحفوظ ! وفلان يعلم السعيد من الشقي . ويقول : هذا من أهل الجنة ، وهذا من أهل النار ، وهذه إطلاقات كلها غير جائزة في الشريعة ، ولا صحيحة في معناها ومقتضياتها ، وإنما ذلك للأنبياء عليهم السلام ، وقد ختمت النبوة فانسدت أبواب الغيوب على الخلق . قال الله تعالى : « عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » وقد بينا هذا بيانا شافيا في كتابنا المسمى : بالاعتماد في المعتقد . فخصر علوم الخلق دورانا بين النفي والإثبات ، حتى لم يبق لهم إلى الغيب طريق وهذا أحد الجائزين الغائبين عن الحس والضرورة سوى الخبر الصادر عن الله سبحانه . ولما ختم الخبر الصادق عن الله سبحانه بختم النبوة لم يبق للمخلوقين طريق إلى الغيب أصلا ،

فلا مطمع لعاقل في شيء من ذلك وخبر التواتر عن شاهد أو محسوس ليس  
ينجز عن غيب بل عن شهادة فلما تحقق ذلك علم أن الولي إنما يصل إلى فراسة  
صادقة يجعلها الله له مطابقة كرامة له ، وهي صفة غالبية ظن من غير قطع  
ولا مزاحمة للنبوة ، والعلم والقطع في الغيوب إنما هو للأنبياء عليهم الصلاة  
والسلام عن الله سبحانه بالوحي إليهم ، إذ هو سبحانه المنفرد بذلك ، ولمن عدا  
الأنبياء عليهم السلام الظن الصادق فقط ، وهي المسماة فراسة لما ذكرنا من قوله  
تعالى : « فلا يظهر على غيبه أحداً » ، الآية ألا ترى إلى تأييد ما قلناه بقول  
أبي بكر رضي الله عنه في ابنته وهي في جوف أمها ! أترأها جارية ! بضم المهملة  
وهي حقيقة الإخبار عن الظن ، فكان مما أكرمه الله تعالى به من إظهار الصنع  
أن خلق فراسته مطابقة لذلك . . . وكذلك كان عمر رضي الله عنه أخبر عنه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من المحدثين . . . ومعنى ذلك أن الفراسة من  
قلبه لا بالوحي لوجوب ختم النبوة ، وهي الإنباء عن الله سبحانه صدقا بطريق  
لم يصل إليه غيره من المخلوق إلا من كان نبياً .

وذلك الإنباء عن علم الله سبحانه القديم القائم بذاته تعالى .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : ما خفتُ من شيء إلا كان . . . فانظر  
إلى قوله : خفت ، وهذا أيضاً من الإخبار عن الظن أو غالبه ، وهذا هو تحقيق  
أحوال الصحابة رضي الله عنهم ، فما ظنك بمن هو دونهم . . .

واختلف العلماء في قول عمر رضي الله عنه ، وهو على المنبر يخطب فصاح :  
يا ساريةُ الجبلِ ! وساريةُ إذ ذاك بنهاوند . . . على ما قاله إمام الحرمين في  
الشامل ، كُشِفَ المانع عن بصره فرأى الجبل ، وسارية وجيش المسلمين

والكفار ، فلا يكون ذلك إخباراً عن غيب ، بل هو عن مشاهدة ، وعلى ذلك البعد ، إذ لم تجر بذلك عادة . وقال القوم : إنما أخبر عن فراسة بقلبه دون عينه وبصره ، فيكون ذلك عن غالب ظن يخفى له وقد عوده الله سبحانه صدقه فصاح بسارية جريا على ما عوده الله تعالى .

وبقى الأخبار عن الغيب الذى لم يُشاهد ليس إلا للنبوة بالوحي على ما تقدم ذكره ، وتقررت أدلته ، فينبغى على هذه القواعد أن الجائز من الاطلاقات للمتقدمة الذكر . أن يقول القائل : فلان رأى منامة ، أو خلقت له فراسة بكذا . ١ إن وقع فى خاطره كذا وكذا . ١ أى خاطر يظنه صادقا ، وفراسة يظنها مطابقة ، إذ لا قطع عنده بمطابقة الجواز الظنون التى هى غير مطابقة عليه . وتجويز هذا لا ينفارق كل عاقل ، لأنه تجويز الجائز من أحكام العقل . نعم ، لو أخبر النبي عليه السلام الولي : أن الله قدر إلى قلبه بالتوفيق ، وجنبه الظنون التى لا تطابق ، وأن ما يخلقه فى قلبه هو مطابق ، لصح قصصه بما يجده ، لكن مستند الخبر النبي صلى الله عليه وسلم .

ويحتمل أن يكون أبو بكر وعمر أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقالوا : أراها جارية ١ وما خفت من شيء إلا كان ١ تأديبا مع النبوة ، إذ أخبرها استند فى ذلك الوقت ١ والنسكته التى ذكرها القاضى أبو بكر بن الطيب رحمه الله فى كتاب صفة فى كرامات الأولياء فقال : فى الخضر قولان : قيل كان نبيا لقوله « وما فعلته عن أمرى » وعلى هذا فلا إشكال .

وقيل كان وليا . قال القاضى رحمه الله : وعلى هذا القول فلا بد أن يكون لى نبيا ، إذ كان ذلك زمن الأنبياء عليهم السلام . فأخبره : أن الله تعالى قد طهر قلبه ، ووالاه ، فلا يخلق فيه إلا اعتقادا مطابقا ، فيقطع بما يجده ، لأنه

مستند إلى خبر النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يقدم أحد وهو طائع على قطع رأس الغلام ! وخرق السفينة ! وإظهار تلك القضايا العجيبة لمجرد ظن أصلا ! وإنما بسطنا القول في هذه المسألة ييسر لكثرة ما يقع فيه كثير ممن ينتمى إلى التقدم ! في كثير مما قدمناه من الاطلاقات والاعتقادات ، إلا من وفقه الله تعالى ، فلنرجع إلى ما كنا بسبيله :

ويقول بعض العوام إذا رأى بعض من فُتح عليهم بشيء : أين كنا من هذه القسمة ؟ وهو اعتراض على الله تعالى في صنعه وقسمته التي قسم خلقة وملكة ، فخرام إطلاق ذلك واعتقاده .

ويقول قائلهم في ضرب الأمثال مستحسننا لهذا القول : قيل لبعضهم : كيف عشت ؟ قال : كيف وجدت ! لا كيف أردت ! وهذا خطأ من جهة ما فيه من عدم الرضا بقضاء الله تعالى .

ويقول قائلهم : يُعطى الفول لمن ليس له أسنان ! وفيه اعتراض على الله تعالى في أحكامه ، وإن هذا الحكم جرى على خلاف الحكمة ، فكان هذا الإطلاق على هذا الوجه كفراً .

ويقول متعمقهم في الجهل : اللهم لا تحوجنا إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا جهل عظيم وتزكية للنفس منهي عنها شرعا ، ولا يعلم القائل إن الأمم أجمعين محتاجون في عرصات القيامة إلى شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المقام المحمود الذي خصه الله سبحانه به ، فهو الذي يشفع إذ ذاك دون من سواه ، من جميع النبيين والمرسلين على ما ورد في الصحيح ، وله عليه السلام شفاعات على ما تقرر في قواعد العقائد .

ويقول قائلهم : هذا مُصَيِّفٌ ، ومُسيِّجٌ ، ومُكَيِّبٌ ، وجَوَيِّعٌ ،  
وما أشبه ذلك بالتصغير ، وكل ذلك لا يجوز ، لأنه تصغير لما أمر الشرع  
بتعظيمه ، وكذلك كل ما كان من شعائر الله سبحانه . قال الله سبحانه : « ذلك  
ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » وهذا يشمل اللفظ والمعنى ،  
فلا مخرج لللفظ عنه من دون المعنى إلا بدليل ، والأصل عدمه .

ويقول قائلهم : هذه يدك في يد الله ، إذا عاهد أحداً ، وهو خطأ ،  
وإنما يده في يد ذلك الشخص ، والرب تعالى منزّه عن الجسمية ، فوجب  
تنزيهه عن الجارحة .

ويقول بعضهم : هذه يدك في يد محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله ،  
وهو سوء أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم في التمثيل به وفيه الكذب فامتنع .  
ويقول قائلهم : إذا باع من أحد شيئاً وأراد إقالبته : باعك الله ، وأقالك  
الله ، وهو وهم فامتنع . والصواب أن يقول : بعتك ، وأقلتك .

ويقع في تسمية الكتب أسماء غير جائزة ، مثل تسمية بعض الكتب :  
الإسراء . وتسمية بعضها الممرّاج ، والمعارج . وتسمية بعضها الآيات البينات .  
وتسمية بعضها مفاتيح الغيب . فَلْيُتَجَنَّبْ ذلك .

وليحترز من مواضع في كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي ، ومن مواضع  
في كتاب : التلويح والتسوية ، له أيضاً . ومن مواضع في تأليفه أيضاً ، دست في  
تأليفه <sup>(١)</sup> ، أو رجع عنها كما ذكره في كتابه المسمّى بالنقذ من الضلال



وليحترز أيضاً من مواضع في كتاب قلوب القلوب لمسكى<sup>(١)</sup> ، ومن مواضع نقلت في كتاب (الهداية) لمسكى في التفسير ، تقتضى التشبيه ، ولم يذبه على تأويلها فلا يعول على ظاهرها ، مع أنها لم تكن منقولة بطرق قطعية . وليحترز من مواضع كثيرة من كلام ابن مسرة الجبلى<sup>(٢)</sup> ؟ وقد صنف الفقيه أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله كتاباً في الرد عليه منظوياً على التقاسيم العقلية ، والقوانين البرهانية ، دل ذلك على تبحره في علم أصول الدين ، ولهذا شهد له الناضى أبو بكر بن الطيب رحمه الله في كتابه المصنف في كرامات الأولياء .

وليحترز أيضاً من مواضع في كتاب مندر بن سعيد البلوطى ، فإنه دخل المشرق في زمان هيجان فئة المعتزلة فرجع إلى الأندلس ، وقد اعتسل كلامه بالاعتزال ، وخالطه فاسد آرائهم ، فلذلك نهيها على التحرز من كلامه في المعتقد . وليحترز من مواضع في خطبه ، وأنه تبع فيها المعتزلة ، ومن مواضع من كلام ابن برجان .

وأما تفسير الزمخشري فأكثره اعتزال ، وفيه مواضع انتهى فيها إلى الكفر والعياذ بالله ، وقد صنفنا في الرد عليه كتاباً سميناه : بالتمييز بما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز . كان قد ابتداءً والذي رحمه الله ثم من الله في تكميله على يدي ، والحمد لله على ذلك .

وليحترز أيضاً من كتاب رسائل إخوان الصفا ، فإن مؤلفيها من رهوس الملحدین والمدلسين للدين والمجانبيين لطريق الإسلام والمسلمين ، ومن كتب

---

(١) انظر شجرة النور الزكية ص ١٠٧ .

(٢) كذا في نسخة (ب) ولا وجود لهذه الكلمة في نسخة (أ) .

الفلاسفة الملحدون ، ومن كلام الجاحظ ، وإبراهيم بن سيار النظام ، وابن  
 الراوندي ، والناشئ ، ومعمّر بن المنذر ، وتركنا ذكر قوم يقل وقوع كلامهم  
 بين أيدي الناس . وليحترز أيضاً من كتاب خلع النملين لابن قسيّ لمواقع  
 فيه يجب التحرز منها . وليحترز من كلام ابن حزم إذا تكلم فيما يتعلق بأصول  
 الدين وقواعد العقائد ، ومما يتعلق بالمعاني والحقائق ، لأن هذا الرجل لم يكن  
 من أهل هذا العلم ، فلما تكلم فيما ليس يعن له لم يُحسن . وليحترز من كلام  
 ابن رشد الحفيد لأن كلامه في المعتقد فاسد ، وجده من علماء أهل السنة ، وهو  
 صاحب البيان والتحصيل ، والمقدمات ، تكلم في صدر المقدمات كلاماً حسناً ،  
 دل على إمامته وفضله . وليتحرز من كلام ابن عربي الطائفي ومن مواضع كثيرة  
 في قصائده وقصائد ابن الفارض الشاعر التي أشبعنا في بيانها وتقريرها في  
 كتاب : أصول الدين ، وإن كان الأمر في ذلك أبين من أن يحتاج إلى بيان  
 لأن الموحدة القديمة من المعلوم ضرورة وبديهة استحالة أن يكون هو عين  
 الحادث المتغير ، فوجب انقراض القديم من الحادث ، والعزيم من الدليل والغنى  
 الكبير من التقير الحقيق ، وكل كلام وإطلاق من قبل المؤلفين يوم الباطل ،  
 فهو باطل بالإجماع على ما تقدم التنبيه عليه فأجربى وأولى بطلانه إذا كان  
 صريحاً في ذلك . فإن قال من قدمناه : لم تنصد بكلامنا الاتحاد وإنما قصدنا أمراً  
 آخر قلنا لهم : الله أعلم بالمقاصد وإنما اعترضنا نحن على الالتناظ التي تظهر منها  
 الإشارة إلى الاتحاد ، ووجه من وجوه الإلحاد . وليحترز أيضاً من كلام ابن  
 أعلى الرومي <sup>(١)</sup> ، ومن كلام ابن سينا أنصف الله منه الإسلام والمسلمين على  
 ما أحدثه في الدين ، ومن كلام الملحدون الظالمين القائلين بالاتحاد أو بالحلل  
 أو بالتشبيه أو بالتجسيم تعالى الله عن أقوالهم رب العالمين .

(١) في نسخة (١) الرومي . . . وفي (ب) الرقي . . .

وليغول على الاقتداء بخاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وخيرة المخلوقين  
عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل عليه من الكتاب الحكيم ،  
وما وردت به سنته ودينه القويم وصراطه المستقيم كما قال تعالى : « وإن هذا  
صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ثم الاقتداء  
بأئمة المؤمنين من الصحابة والتابعين لهم من أهل السنة من أئمة المتكاملين  
الدالين على الدين والداعين إلى المنهج الحق المبين والجل المتين ، كالشيخ  
ابن الحسن الأشعري رحمه الله صاحب كتاب المتحري<sup>(١)</sup> ؟ في تفسير القرآن  
الكريم في أربعائة سفر ، وقد بلغت تأليفه ثلثمائة وثمانين تأليفاً وأزيد على  
ما ذكره الحافظ أبو الناسم بن عساكر ، محدث الشام رحمه الله ، ونفراً وجهه ،  
ولقد أطنب في مدح الشيخ أبي الحسن رحمه الله ومدح أئمة مذهبه ، مذهب  
أهل السنة والجماعة بما يليق بدينه وأمانته ، وكل ذلك مشبع الكلام عليه في  
الكتاب الكبير المعروف بتاريخ بغداد للشيخ أبي الحسن<sup>(٢)</sup> ١٠٠ رحمه الله  
جميعهم ، وكالفاضل أبي بكر بن الطيب صاحب الهداية ، والدقائق ، وكالأستاذ  
أبي إسحاق الاسفرايني رحمه الله صاحب : الجامعين ، وكالأستاذ أبي بكر بن  
فورك رحمه الله صاحب : المشككين ، وكالإمام أبي المعالي رحمه الله صاحب :  
الإرشاد ، والشامل ، ومن سلك طريقهم ، ونهج منهجهم ، فهم الذين أقامهم الله  
أعلاماً لنصرة دينه ، والقرب عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله :  
« وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » قالوا :  
من الواحدة يا رسول الله . قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي .

(١) كذا في النسختين .

(٢) المعروف أن مؤلف تاريخ بغداد هو الخطيب البغدادي السكفي بأبي بكر .

وما كان من كلام من قدمنا التحرز من كلامهم موافق للحق عول عليه ،  
لأنه قاله ، بل لموافقته للحق ، وما خالف الحق من ذلك فلا يلتفت إليه ،  
ولا يعول عليه ، وليس المخالف للحق في الاعتقادات والإطلاقات مما ينضبط  
بمحصر ، ولكن ذكرنا من الإطلاقات الممنوعات أمثلة يتبر بها مالا يجوز  
إطلاقه مما يخالف الحق ، وبمعرفة الحق يعرف الرد على ما يخالفه والله سبحانه  
ينفع بالقصد في ذلك إنه ولي كريم ، ونسأله تعالى أن يجعلنا من الناصرين لدينه ،  
والناصحين لأمة رسوله والحمد لله رب العالمين ، وصلواته وسلامه على خاتم النبيين  
 والمرسلين ، وإمام المتقين محمد أفضل العالمين ، وعلى آله الطاهرين وصحابه  
الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

انتهت رسالة أبي على السكوني المسماة  
كتاب الحن العامة والخاصة في المعتقدات